١٣ - الصحوة الإسلاميّة بين المتشائمين والمتفائلين

(لا يأس .. الفجر قريب)

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

فى بعض المراحل من تاريخ الأمم، تسود بعض موجات التشاؤم واليأس، حتى تغلب على بعض النفوس، فتظنّ أنّ اللّيل مستمر، وأنّ الظلام لا ينتهى، وأن الفجر لن يطلع. وهذا لا ينبغى أن يكون من شيم المؤمنين، فإنّ اليأس من لوازم الكفر عند المسلمين، والقنوط من مظاهر الضلال، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **.. إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف: ٨٧] ، ﴿ **قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ** ﴾ [الحجر:٥٦] .

فى العام الماضى كنت فى الجزائر، فجاءنى بعض الشباب المسلم المتحمّس وقال: هل تظنّ أن تقوم لهذه الأمّة قائمة، وأن ترتفع للإسلام راية؟ وها هى الأمّة يعتدى بعضها على بعض، كالأسماك يلتهم الكبير الصغير، وكالسباع فى الغابة يفترس القوى الضعيف، يعتدى الجار على جاره، فلا تستطيع الأمّة أن تحرّك ساكناً، ولا تستطيع الأمّة أن تحلّ مشكلاتها بنفسها، فليس عندها قوّة ردع تردع الباغى، وليس عندها محكمة عدل تفصل فى الخلاف فيما بينها، وأصبح الأمر كما قال الشاعر من قبل :

فى كلّ محكمة قضيّة مسلم يشكو بليّته لغير المسلم

ولهذا استعنّا بغيرنا حتى يحلّ لنا مشكلاتنا، وضرب بعضنا بعضا، وقضى بعضنا على بعض، أيّاً كان الجانى والمجنى عليه، فالضحيّة هى الأمّة فى مجموعها، والمُضَيَّعُ هو اقتصاد الأمّة ومقدّراتها وأبناؤها.

هكذا كان بعض الشباب ينظرون إلى هذا الأمر.

OBEIKAN.COM

وفى أوائل هـذا العام جاءنى بعض الشباب هنا فى الدوحة وقالوا: ألا ترى ما يحدث؟ هذا مؤتمر السلام كما يدّعونه، إسرائيل تتعجرف وتتحكّم وتشترط، والجـميع يحنون لهـا الرؤوس، ويقبلون الشروط، تنهى الاجتـماع عندما تريد، وتحضر عندما تريد، وتحدّد ما ترى، ولا يستطيع أحد أن يردّ لها قولاً، أو ينقض لها شرطا، أليس هذا هو الوهن الذى قال الله تعالى فيه: ﴿**فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمّد: ٣٥].

أصرّ (شامير) على أن ينهى المؤتمر فى (مدريد) ويعود ليقوم بشعائر السبت، وقال له بعض الحاضرين من وزراء الخارجيّة المسلمين: ها نحن يوم الجمعة ومع هذا لم نبال بيوم الجمعة! فلماذا إصرارك على الرجوع إلى إسرائيل يوم السبت؟!

هـذا هو كلّ ما عندنا: أنّ اليهـود يحترمون يوم السبت، ونحن لا نحترم يوم الجمعة!

رأى البعض فى هذا المؤتمر[1] أنّه إجهاضة للانتفاضة، وقضاء على الجهاد.. الجهاد الذى رُفض أن يذكر مجرد عنوان أو لفظة فى بيان مؤتمر القمّة الإسلامى فى السنغال.

وجاء آخرون – وأنا ذاهب إلى أمريكا وبريطانيا – من الشباب المصرى المسلم يقولون لى: ألا ترى ما يحدث؟ ألا ترى هذه الكوارث؟ ألا ترى هذه الحوادث؟ الناس يموتون بالمئات من أجل أناس أخذوا رشوة، وسمحوا بعبّارة لا تصلح للعبور، أليس هذا دليلاً على التسيّب؟ ألا ترى هذا الفساد؟ ألا ترى الوزير الذى اشترى لنفسه، وباع لنفسه، وجمع مئات الملايين؟

وهكذا فى كلّ مكان أرى المتشائمين واليائسين.

وحينما اختلف المجاهدون الأفغان بعضهم مع بعض، وقُتل أحدُ القادة نتيجة فتنة، جاءنى بعض الناس وقال: انظر إلى هذا الجهاد الأفغانى الذى طالما تحدثتم عنه ودعوتم إلى تأييده، قتل بعضهم بعضا، وفعلوا وفعلوا.

---

(١) أى: (مؤتمر السلام) فى مدريد كما يزعمونه.

OBEIKAN.COM

يريدون أن يشوّهوا الصورة المضيئة المشرقة التى بيّضت وجه الإسلام وشرّفت المسلمين.

وآخرون يقولون: انظر كيف انتهى الجهاد الإريترى إلى أن يُسلّم الحكم إلى جبهة يساريّة علمانيّة غير إسلاميّة. أهذا هو الجهاد الذى طالما دعوتم لأصحابه بالنّصر؟ أهذه هى القضيّة؟

هكذا، المتشائمون يرون الصورة من وجه واحد، لا يرون إلاّ الفساد، ولا يرون إلاّ الانحراف، ولا يرون إلاّ الظلام. ينظرون إلى الأمور بمنظار أسود قاتم، ولكن الواقع أنّ الصورة ليست كلّها كذلك.

ولكن هل هذه الصورة السوداء هى الحقيقة كلها؟ وهل صحيح أنّ الأمّة كلها غارقة فى ظلام دامس، وأنها لا تسير من سيء إلاّ إلى أسوأ، ولا من الأسوأ إلاّ إلى الأشد سوءا؟

نحن نظلم أنفسنا، ونظلم أمتّنا، ونظلم ديننا، إذا نظرنا إلى الأمور بهذه الطريقة، إذا شوّهنا الصورة إلى هذا الحد، إذا سكتنا عن المحاسن، وجسّمنا المساوىء، إذا أغفلنا المزايا، وضخمّنا الأخطاء والعيوب، إذا نظرنا إلى جانب واحد فقط من الصورة، وأعرضنا عن الجانب الآخر.

نظلم أنفسنا إذا نظرنا إلى الأمر كذلك، ناسين أنّ مع العسر يسرا، وأنّ بعد الليل فجرا، وأنّ بعد الظلام نورا، وأنّ الأمور لا تدوم هكذا، وأنّ فى الصورة جوانب ينبغى أن ننظر إليها وينبغى أن نهتمّ بها، وينبغى أن نضعها أمام أعيننا.

لماذا لا ننظر إلى هذا الجهاد المقدّس فى فلسطين.. إلى أطفال الحجارة.. إلى هذا الشباب الذى انطلق من المساجد يرفع شعار (لا إله إلاّ الله والله أكبر)، يتحمّل ما يتحمّل من كسر العظام، ومن دقّ الأجسام، ومن التعذيب فى المعتقلات، ومن القتل، ومن.. ومن.. ومن؟؟

لماذا لا ننظر إلى هؤلاء الصامدين؟

لماذا لا ننظر إلى الجهاد الأفغانى الذى ظلّ سنين طويلة يقاتل أعتى قوّة

OBEIKAN.COM

ملحدة فى الأرض.. وأعتى دولة ملحدة فى التاريخ: دولة الاتحاد السوفيتى؟ قاتلها بأسلحته البسيطة التى قام بها فى أوّل الأمر (بعض بنادق وبعض مسدّسات)، ثمّ ظل ينتزع أسلحته بعد ذلك من عدوّه، حتى اعترف الناس به، وأيّده من أيّده، وظلّ هذه السنين صامداً شامخاً راسخاً كالجبل الأشم، حتى كان سبباً من الأسباب التى أدّت إلى التغيير ثمّ الانهيار فى الاتحاد السوفيتى.

لماذا لا نذكر هذا أيّها الإخوة ؟

لماذا لا نذكر الجزائر؟ الجزائر التى ظلّت مائة وثلاثين عاماً تحت الحكم الفرنسى.. تحت الاستعمار الاستيطانى المتعصّب، الذى أرادأن يلغى هُوية الجزائر، فحارب الإسلام ديناً، وحارب العربية لغة، وفرنس التعليم، وحوّل كثيراً من المساجد إلى مستشفيات أو ثكنات أو كنائس أو نحو ذلك.

وظنّ الناس الظنون بأنّ شعب الجزائر قد انتهى من الخريطة العربية والإسلاميّة. ولكنّ الله هيّأ له أمثال: عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمى، وإخوانهما من العلماء الصامدين الراسخين، الذين أبوا إلاّ أن يحفظوا على هذا الشعب شخصيتّه الإسلاميّة وهُويّته التاريخيّة، وحفّظوه فى المدارس الإسلاميّة التى أنشأوها:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عنَ اصله أو قال مات فقد كذب

وظلّت هذه التربية تعمل عملها حتى كانت ثورة الجزائر، أو الجهاد الجزائرى، أو حرب التحرير الجزائرى، بين المسلمين والفرنسيّين – كما كان يقال فى إذاعات العالم فى ذلك الوقت – وقدّمت الجزائر مليوناً ونصف المليون من الشهداء، وتحرّرت، وخرج الناس فى الشوارع يهتفون:

يا محمّد[1] مبروك عليك الجزائر رجعت إليك

(١) أى: رسول الله ﷺ.

صحيح أنّها لم ترجع كاملة إلى محمد ﷺ – وإنّما اختطفها كارل ماركس، على عادة ما يحدث فى كثير من بلاد الإسلام: الإسلام يزرع والعلمانيّة تحصد – ولكن حينما أتيحت الفرصة للشعب الجزائرى ليعبّر عن نفسه، لم يجد إلاّ الإسلام ملاذاً وملجئاً، وكانت الصحوة الإسلاميّة الهائلة التى رأيتها بعينى وعايشتها تلك السنين التى مضت خلال عقد الثمانينات.

لقد كنت أخطب الجمعة فى بعض الأحيان، فيحضر مائة وخمسون ألفاً أو مائتا ألف من الفتيان والفتيات، يستمعون إلى الخطبة !

البنات اللاّتى تربين على مناهج فرنسا قديماً، وكنّ لا يعرفن إلاّ العرى، التزمن الحجاب طواعية واختيارا، وأصبحت تمرّ فى الشوارع فلا تكاد تجد امرأة عير محجبة إلاّ القليل.

وكانت النتيجة ما رأيناه وقرأناه وسمعناه من نجاح التيار الإسلامى فى الجزائر. وليس هذا بغريب، والمسلمون جرّبوا اليمين، وجرّبوا اليسار،جرّبوا الليبراليّة، وجربوا الاشتراكيّة، فلم يجنوا من وراء ذلك إلاّ الضياع والخراب على كلّ صعيد، فلماذا لا يجرّبون الإسلام؟

على أنّ الإسلام ليس مجرد تجربة، الإسلام – بحكم العقد الذى بيننا وبين الله – ليس لنا خيار فى قبوله أو رفضه، بل لا بدّ أن نختاره، ووراءه الخير كلّ الخير إذا أحسنّا فهمه وأحسنّا تطبيقه.

وللأسف وجدنا الغرب كلّه بقضّه وقضيضه، يخاف من انتصار التيّار الإسلامى فى الجزائر، ويخوّف المسلمين من وراء ذلك. لم هذا كلّه؟شعب اختار لنفسه الطريق.

ألستم أنتم أيّها الغربيون تدعون إلى الديمقراطيّة، وتدعون الشعوب لتختار لنفسها؟! فإذا اختار الشعب الإسلام، كانت الديمقراطيّة شيئاً يُخاف ويجب أن يُمحق ويُسحق؟! ويدعو من يدعو إلى تدخل الجيش الجزائرى وإلى.. وإلى..، لم هذا كلّه؟

OBEIKAN.COM

لماذا يُخاف الإسلام ؟

إسرائيل تقيم دولة على أساس التوراة، فإذا جاء من يريدون أن يقيموا دولة على أساس القرآن، كان هذا هو الشيء المرفوض؟! الإسلام وحده هو الذى يحارب فى العالم؟! لماذا لا يحترم الناس رغبة الشعب الجزائرى؟

كلّ ما نريده من الذين نجحوا هناك : أن يلتزموا بالإسلام الصحيح، وأن يلتزموا الحكمة، وأن يعرفوا موقعهم من العالم، وأن يدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة، وألاّ يتهوّروا ولا يرتكبوا الحماقات .

أليست هذه – أيّها الإخوة – نقطة تُحسب للإسلام ولأمته بدل هذا التشاؤم واليأس الذى عمّ الكثيرين؟

لا ينبغى أن نيأس، فالإسلام قوى، ويوم تتاح له الفرصة سيظهر ويبرز إلى الوجود .

أما الخائفون من الإسلام فماذا نصنع لهم ؟

كانوا من قبل يقولون : احذروا المتشددين المسلمين، احذروا المتطرفين . أتدرون ماذا يقولون اليوم؟ يقولون : احذروا المعتدلين المسلمين، احذروا الإسلام المعتدل، إنّ هؤلاء المعتدلين أشدّ خطراً، إنّ المتطرفين لا يدومون طويلا، إنّ عمر المتطرف قصير، أمّا الذين يستمرّون ويدومون، فهم المعتدلون الذين يدعون إلى التوازن والوسطيّة والاعتدال، اخشوا من هولاء !!

لماذا لا يتركنا هؤلاء وشأننا؟ لماذا يريدون أن يقفوا لنا بالمرصاد؟ لماذا هم خائفون من أىّ حركة للإسلام إلى الأمام؟ حتى إنّ بعضهم حينما قال : حلّوا حلف الأطلنطى، فلم يعد له مكان بعد أن حُلّ حلف وارسو، وأصبح هناك قطب واحد . فقالت رئيسة وزراء بريطانيا : إنّ بقاء الحلف ضرورى لمواجهة (التطرّف) فى الشرق الأوسط ! ولهذا انتقل مقرّ الحلف من شمال أوربا إلى جنوبها فى إيطاليا، ليكون بقرب هذه المنطقة، وما التطرف المقصود فى الشرق الأوسط؟ إنّه الإسلام، والإسلام وحده .

OBEIKAN.COM

إنّ الإسلام – أيها الإخوة – بخير .

كنت فى أمريكا وفى أوربا، وحضرت مؤتمرات الشباب الإسلامى هناك . الناس فى تلك الأيام يحتفلون – فى إجازاتهم – بما يُسمّى (الكرسمس)، أى : أعياد الميلاد . تُقضى الإجازات فى شرب المسكرات، وتناول المخدّرات، والعبّ من كؤوس اللذات . ولكنّ هذا الشباب انتهز الفرصة ليقيم معسكرات إسلاميّة .

هذه المعسكرات أو المخيمات تقوم على العبادة والثقافة والرياضة . . على قيام الليل، وصلاة الفجر، وحلقات الدروس، والمحاضرات والندوات والأناشيد الإسلاميّة .

فى قلب أمريكا وأوربّا آلاف من الشباب المسلم . رأيتهم هناك فى أمريكا، ورأيتهم فى بريطانيا ورأيتهم فى فرنسا، ورأيتهم فى غيرها من البلاد .

من كان يظنّ أن يذهب الشاب إلى تلك البلاد ليزداد تديّناً، أو ليعرف الدين هناك من إخوانه الشباب ! يذهب الشباب – من الخليج ومن الشام ومن مصر ومن المغرب، ومن بلاد كثيرة – غير متديّن، لا يكاد يعرف الصلاة، أو لا يصلّى أبداً، فيلتقى بإخوته من الشباب المسلم هناك، فيعود شاباً مسلماً ملتزماً متحمسّاً غيوراً على دينه !

كانوا قديماً يرون أنّ إنضاج الشاب إنضاجاً كاملاً ليعود إلى بلده بعقل غير عقل المسلم، وقلب غير قلب المسلم : أن يبعث فى بعثة إلى بلاد الغرب .

عندما احتلت انجلترا مصر وغيرها من البلاد، كان سبيل التغيير الأوّل هو : التعليم والتربية، عن طريق المدارس التبشيريّة والأجنبيّة فى البلاد، ثمّ عن طريق الإشراف على التعليم الوطنىّ نفسه – فى مصر كان هناك قسّيس اسمه (دنلوب)، هو الذى يضع المناهج والبرامج وفلسفة التعليم، ويشرف عليها فى وزارة المعارف حينذاك – ثمّ من أرادوا أن ينضجوه إلى النهاية بعثوا به إلى أوربّا، ليعود (خواجة) تماماً، اسمه اسم المسلمين، وعقله لا يعرف عن الإسلام إلاّ صورة شائهة .

تغيرّ الوضع الآن والحمد لله .

أليس هذا ممّا يبشّر بخير ؟

حدثنى بعض الإخوة القادمين من العراق : أنّه بعد أن تراخت قبضة الحكومة القائمة، عاد الناس إلى الإسلام . . إلى المساجد، بعد أن كانوا يخافون من الذهاب إلى المساجد، وبعد أن كانوا يخافون من قراءة كتاب إسلامى أو يضبط مع أحدهم كتاب إسلامى .

عاد الناس إلى الدين، لأنّه الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ولأنّه حقيقة هذه الأمّة .

الحقيقة المعبرّة عن هذه الأمّة وعن شعوبها جميعاً هى : الإسلام .

ورأيت بعض الإخوة من اليمن الجنوبيّة . اليمن الجنوبيّة كانت تحكمها الماركسيّة الشيوعيّة، والذين كانوا يحكمونها كانوا أشدّ تعصّباً من أهل روسيا أمّ الاشتراكيّة، كانوا ماركسيّين أكثر من ماركس نفسه، كانوا يعيبون على الشيوعيّين الآخرين – ومنهم الروس – تهاونهم فى الشيوعيّة، والآن بعد عهد الوحدة، وبعد أن أتيح للناس إن يتنفّسوا الصعداء، عاد الناس إلى الإسلام، وأقبلوا زرافات ووحداناً إلى هذا الدين .

الإسلام ينتصر فى كلّ مكان .

لماذا لا نذكر هذا؟ إذا كنّا نذكر دائماً السلبيّات، لماذا لا نذكر الايجابيّات؟ لماذا لا نذكر الوجه المشرق؟ لماذا لا نذكر شباب الصحوة الذى نراه فى كلّ مكان داخل بلاد الإسلام وخارجها؟ لماذا لا نذكر الفتيات المحجبات، اللاّتى لم يلزمهنّ أب ولا زوج بالحجاب، ولكن هنّ ألزمن أنفسهن بهذا الحجاب استجابة لأمر الله تبارك وتعالى . لا شىء غير ذلك؟ لماذا لا نذكر هذا كله حتى تمتلىء قلوبنا بالأمل؟

بعض النّاس يذكرون أحاديث الفتن وأشراط الساعة وما ورد فى آخر الزمان، أحاديث يفهمونها على غير وجهها، توحى بكل يأس وبكلّ قنوط، وهذا غير صحيح . لا يمكن أن يذكر النبى ﷺ هذه الأحاديث ليملأ قلوب الأمّة باليأس .

OBEIKAN.COM

من هذه الأحاديث: « بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء »[١]، و « لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلما وجوراً وعدوانا.. »[٢]، و« .. لا يأتى عليكم زمان إلاّ والذى بعده أشرّ منه.. »[٣].

وتذكر هذه الأحاديث لتوحى للمسلم العادى أنّ الكفر فى إقبال، والإسلام فى إدبار، وأنّه سيظلّ مدبراً حتى تقوم الساعة على لكع بن لكع، أى: كافر بن كافر.

هل هذه هى الحقيقة؟ وهل أراد النبى ﷺ بهذه الأحاديث أن يوئسنا ويقنّطنا؟ كيف وهو الذى يقول فى أمر الدنيا: « إنْ قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة [نخلة صغيرة.. شتلة] فإن استطاع ألاّ تقوم حتى يغرسها فليغرسها »[٤] لو أنّ إسرافيل ممسك بالصُوْر لينفخ وينهى هذه الحياة، وفى يدك نخلة صغيرة، فإن استطعت أن لا تنتهى الحياة حتى تغرسها فاغرسها، لماذا ولن تأكل منها، ولن يأكل منها أحد بعدك، ولن ينتفع بها مخلوق؟ إنها إشارة إلى أنّ المسلم يظلّ عاملاً منتجاً معطاء حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، ولو لم ينتفع بهذا العمل أحد، لأنّ العمل فى حدّ ذاته عبادة لله عزّ وجلّ.

هذا فى أمر الدنيا، فما بالكم فى أمر الدين ؟! أمعقول أن يقول الإسلام

---

(١) رواه مسلم وابن ماجة عن أبى هريرة، والترمذى وابن ماجة عن ابن مسعود، وابن ماجة عن أنس، والطبرانى عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس، رضى الله عنهم جميعا (المبشرات بانتصار الإسلام للقرضاوى: ص ١٠٧).

(٢) رواه الحاكم وصححّه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى (المبشرات بانتصار الإسلام: ص ٤٠). وتتمّته: « ثمّ يخرج رجل من أهل بيتى يملؤها قسطاً وعدلا، كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً ».

(٣) رواه البخارى فى كتاب الفتن من صحيحه، بسنده إلى الزبير بن عدى قال: « أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجّاج، فقال: اصبروا، فإنّه لا يأتى عليكم زمان إلاّ والذى بعده أشرّ منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ » انظر: (فتح البارى: ١٣/ ٢٢). ط. دار الريان بالقاهرة.

(٤) رواه أحمد فى مسنده، والبخارى فى الأدب المفرد عن أنس، وكذا الطيالسى والبزار، وقال الهيثمى: رواته ثقات أثبات. (المبشرات بانتصار الإسلام للقرضاوى: ص ١٠٨).

OBEIKAN.COM

للمسلم: اترك الدعوة إلى الله، اترك الأمر بالمعروف، اترك النّهى عن المنكر، اترك العمل لإصلاح الفساد، لأنّنا فى آخر زمن ولا فائدة؟

مستحيل، مهما فسدت الأحوال، فقد جاءت الآيات والأحاديث تبشّرنا أنّ الأمّة لا تجتمع على ضلالة، وأنّه إن ضلّ قوم فسيظلّ هناك مهتدون هادون:

﴿ .. فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾

[الأنعام: ٨٩].

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.. ﴾

[التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩]. ليظهر الإسلام ويغلب على كلّ الأديان، وقد ظهر على اليهوديّة والنصرانيّة والمجوسية، ولكن بقيت البوذيّة والهندوسيّة والوثنيات المختلفة، ولا بدّ أن يظهر مرّة أخرى على كلّ دين، وهذه آية ذُكرت فى القرآن ثلاث مرّات(١).

﴿ .. وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢).

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا.. ﴾ (٣).

بشائر القرآن كثيرة، وبشائر السنة أكثر:

« لا تزال طائفة من أمتى قائمين على الحق لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك »، فعليك إذن أن تنضمّ إلى هذه القافلة.. أن تنضمّ إلى هذه الطائفة المنصورة، القائمة على الحق، الثابتة عليه إلى يوم القيامة.

---

(١) فى (التوبة) و(الصف): ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾. فى (الفتح): ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾.

(٢) التوبة: ٣٢، وأوّلها: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ.. ﴾.

(٣) النّور: ٥٥، وتتمّتها: ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

OBEIKAN.COM

وقال عليه الصلاة والسلام: «ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنّهار [ينتشر فى المشرق والمغرب وفى كل مكان ظهر فيه ليل أو نهار، أى فى العالم كلّه وفى الكرة الأرضيّة كلّها] ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر [بيت من حجر أو من شعر أى فى الحضر أو فى البوادى] إلاّ أدخله الله هذا الدين، بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، عزّاً يعزّ الله به الإسلام وأهله وذلاً يذلّ الله به الكفر»[1]، هكذا بشّرنا عليه الصلاة والسلام بانتشار (الدعوة).

وبشّرنا كذلك باتساع (الدولة) فقال: «إنّ الله زوى لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ أمتّى سيبلغ ملكها ما روى لى منها..»[2]. وقد حدث فيما سبق أن انتشرت الدولة الإسلاميّة من أطراف الصين إلى الأندلس، ولكنّها لم تبلغ كلّ المشارق وكلّ المغارب، كما بشرنا الحديث الشريف.

وحدّثنا عليه الصلاة والسلام أنّه بعد الخلافة الراشدة سيكون هناك ملك عضوض، ثم ملك جبرى، ثمّ تكون خلافة على منهاج النبوّة[3]. هذه بشرى من بشريات رسول الله ﷺ.

وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص: أىّ المدينتين تفتح أوّلاً: القسطنطنيّة أو روميّة؟ – روميّة كما يقول ياقوت فى (معجم البلدان) هى (روما) عاصمة إيطاليا الآن، وقسطنطنيّة هى استانبول – فأخرج صحيفة من صندوق عنده، وقال: سئل النبى ﷺ هذا السؤال – وكأن الصحابة قد علموا أو سمعوا أنّ كلتا المدينتين ستفتح، لكنّ السؤال: أيهّما يفتح أوّلاً؟ – فقال: «مدينة هرقل تفتح أوّلاً»[4] أى: (قسطنطنيّة).

---

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح (بغية الرائد فى تحقيق مجمع الزوائد: ٦/٧ – ٨ برقم ٩٨٠٧).

(٢) رواه مسلم عن ثوبان رضى الله عنه (شرح السنة لليغوى بتحقيق الأرناؤوط: ١٤/٢١٥ برقم ٤٠١٥).

ومعنى (زوى لى الأرض): أى قبضها وضمّها وجمعها له ﷺ حتى يراها جملة واحدة.

(٣) انظر نصّ الحديث فى (خطبة عيد الفطر) ص ٢١٣

(٤) أورده الهيثمى فى المجمع وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبى قبيل وهو ثقة (بغية الرائد فى تحقيق مجمع الزوائد: ٦/٣٢٣ برقم ١٠٣٨٤).

OBEIKAN.COM

وهذا ما حدث بالفعل، فتح هذه المدينة ذلك الشاب العثمانى الطموح (محمد بن مراد) المعروف فى التاريخ باسم (محمد الفاتح)، الذى قرأ فى كتب الحديث.. فى مسند أحمد ومستدرك الحاكم: «لتفتحنّ القسطنطنيّة، لنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش» (١)، فتاقت نفسه – وكان ذا نفس توّاقة – أن يكون هذا الفضل قد ادّخر له، وأن يكون جيشه هو الجيش الموعود، وأن يكون هو الأمير المنشود، وظلّ يهيّء الأسباب ويُعدّ الخطط لفتح القسطنطنيّة، ففتحها وهو ابن الثالثة والعشرين !

ليعرف ذلك شبابنا، ليعرفوا كيف تكون المطامح والأحلام.

فتحت القسطنطنيّة بطريقة معروفة: المراكب أجراها السلطان محمد الفاتح على القطران (الزفت)، ودخل القسطنطنيّة هناك من الجانب الآسيوى إلى الجانب الأوربى سنة (١٤٥٣) م، ومن زار منكم استانبول، وزار منطقة الفاتح، وجامع محمد الفاتح، وجد هذا الحديث مكتوباً على الباب من الخارج: «لتفتحنّ القسطنطنيّة، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش».

فتحت القسطنطنيّة، وبقى أن تفح روميّة إذن، هكذا بشّرنا رسول الله ﷺ.

ننتظر أن تفتح روميّة.. أى إيطاليا.. أى الفاتيكان.. أى أن يعود الإسلام إلى أوربا مرّة أخرى.

وما أحوج الغرب كلّه إلى الإسلام أيها الإخوة. إنّ الغرب استطاع أن يصعد إلى القمر، ولكنّه لم يسعد نفسه على سطح الأرض. إنّ الناس هناك يشكون من القلق والاكتئاب.. من الاضطرابات النفسيّة.. من العقد.. من الحياة التى لا معنى لها ولا طعم، يشعرون فيها بالتفاهة والضياع، ولهذا كثيرا ما يتخلصون من حياتهم بالانتحار.

وهذا سرّ ما نراه ونقرأه ونسمع عنه عن الخنافس والهيبز وغير ذلك، من

---

(١) رواه أحمد، والحاكم وصححّه عن بشر الغنوى، وأقرّه عليه الذهبى (فيض القدير للمناوى: ٥ / ٢٦٢ برقم ٧٢٢٧).

OBEIKAN.COM

الذين ثاروا على مادية الحصارة وآليّتها. الحضارة لم تشبع نهمهم الروحى، لم تملأ فراغهم العقائدى، إنّهم يريدون شيئاً آخر، إنّهم ثاروا على الحضارة ولكنّهم لا يعرفون البديل، والبديل عندنا.

هل نقدّم نحن البديل للإنسانيّة المعذّبة؟ هل نحمل الراية؟ هل نحمل الرسالة إلى العالم؟

لا يوجد غيرنا يحمل طوق النحّاة، لا يوجد غيرنا عنده سفينة الانقاذ، الإسلام وحده هو سفينة الانقاذ للعالم.

ولكن كيف نقدّم الإسلام للعالم، إذا لم نقمه فى ديارنا بفهم صحيح للإسلام وتطبيق صحيح له؟ إنّنا مسؤولون عن ضلال الأمم، سيسألنا الله عزّ وجلّ عن المليارات من البشر الذين لم يعرفوا الإسلام إلى اليوم، لأنّنا لم نقدم لهم الإسلام كما ينبغى. نحن مشغولون بالصراع بين بعضنا مع بعض، أو بهموم أنفسنا، أو بالحياة المادية التى طغت علينا، ولم نُشغل بديننا كما شُغِل الآخرون بدينهم.

المسيحيّة جيّشت جيوشاً من المبشرين (أكثر من أربعة ملايين)، ودفعت المليارات، وليس ملياراً واحداً، كالذى حدثتكم عنه فى مؤتمر (كلورادو)، وهو مؤتمر من المؤتمرات جمعوا فيه فى ليلة واحدة (ألف مليون دولار)! ولكن مليارات الدولارات تُدفع باستمرار مساعدة للكنائس. فهل نقوم نحن بنصرة ديننا كما يقوم الآخرون بنصرة أديانهم؟

هذا ما يُطلب منها.

دَيْنٌ فى أعناقنا، وفى عنق كلّ مسلم ومسلمة: أن نعمل للإسلام، كما نعمل بالإسلام، وأن ندعو إلى هذا الدين فى الداخل والخارج، وأن لا نخاف من الإسلام.

كثير من النّاس يخافون من الإسلام. الإسلام مصدر الأمن وليس مصدراً للخوف. لا يخاف من الإسلام إلاّ متحلّل، يخاف أن يحكم الإسلام عليه بسدّ باب الشهوات، كما قال قوم لوط من قبل: ﴿ .. **أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ**

﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[1]. لا يخاف من الإسلام إلاّ فاجر أو ظالم أو متعدّ على حرمات النّاس.

الإسلام هو مصدر العدل، ومصدر الأمان، ومصدر الاستقرار، ومصدر الطمأنينة. وهو وحده الذى يصنع الإنسان الصالح فى مجتمع صالح. إذا كنّا نشكو من التسيّب أو الفساد – فساد الضمائر وفساد القلوب – فلن يصلحنا إلاّ أن نعود إلى الإسلام، ونربى عليه الأمّة، ونربى عليه الأجيال من جديد، حتى نخرّج الإنسان الذى يخاف الله، ويراقب الله عزّ وجلّ، فالقوانين وحدها لا تصلح المجتمعات.

لن يصلح القانون فينا رادعاً ... حتى نكون ذوى ضمائر تردع

﴿ .. إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ .. ﴾ [الرعد: ١١].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيراً من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا فى الأمور كلّها.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية :**

أمّا بعد، فقد ورد أنّ فى يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه أيّاه، ولعلّها تكون فى هذه الساعة اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر... اللهمّ انصر إخواننا المجاهدين فى كلّ مكان، اللهم احرسهم بعينك التى لا تنام، واكلأهم فى كنفك الذى لا يضام.

اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ ردّ عنّا كيدهم، وفُلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين اللهم آمنين.

﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

---

(١) النّمل: ٥٦، وأوّلها: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ... ﴾. وفى سورة الأعراف: ﴿ وما كان جواب قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجوهم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاس يتطهرون ﴾ [٨٢].